**على ضفاف عاشوراء**

**﴿وَدَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾**

**وضاح سيف سعيد الجبزي**

**الحمد لله رب العالمين، يا رب:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لك الحمدُ حمداً نستلذُّ به ذكراً لك الحمدُ حمدا ًطيباً يملأ السماء لك الحمدُ حمداً سرمدياً مباركاً لك الحمدُ تعظيماً لوجهــــك قائماً لك الحمدُ حمداً طيـباً أنت أهلُه لك الحمدُ يا ذا الكبرياءِ ومن يكن لك الحمدُ أضعافاً مضاعفةً على لك الحمدُ حمداً أنت وفقتنا له لك الحمدُ حمداً نبتغيه وسيلة لك الحمدُ كم قلدتنا من صنيعةٍ لك الحمدُ كم من عثرةٍ قد أقلتنا إلهي تغمدنا برحمتك التي وصلِّ على روح الحبيب محمدٍ صلاةً وتسليماً عليه ورحمةً وتشمل كلَّ الآلِ ما هبت الصَّبا** | **\*** | **وإن كنتُ لا أحصي ثناءً ولا شُكراً  وأقطارها والأرض والبر والبحـرا  يقل مداد البحر عن كتبه حصراً  يخصك فـــي السراء منا وفي ـالضــــراء  على كل حال يشمل السر والجهرا بحمدك ذا شكرٍ فقد أحرز الشكرا لطائف ما أحلى لدينا وما أمرا  وعلمتنا من حمدك النظم والنثرا إليك لتجديد اللطائف والبشرى  وأبدلتنا بالعسر يا سيدي يسراً ومن زلةٍ ألـبـسـتـنا معها ستــــــــــراً  وسعت وأوسعت البرايا بها براً حميد المساعي ملتقى مضر الحمرا مباركة تنمو فتستغرقُ الدهرا وما سرت الرُّكبان في الليلة الغـرّا** |

**وبعد، فاتقوا الله -عباد الله-؛ فإن تقوى الله خير وصية تُقال، وأعظم نصيحة تستدعي الامتثال، وهي الدواء لكل داء عضال، وسبب للفوز والنجاة في الحال والمآل، يا لرحابة أبوابها، ويا لسعة أسبابها، ويا لرفعة أحسابها، ويا لطمأنينة أصحابها، ويا لصدق أرباها!**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وإذا بحَثتَ عن التّقِيِّ وجَدتهُ وإذا اتّقى اللهَ امرؤٌ وأطاعَهُ وعلى التقِيِّ إذا ترَسَّخَ في التُّقىوإذا تناسبت الرّجالُ فلن ترى** |  | **رجُلًا يُصدِّقُ قولَهُ بِفِعالِ فيَدَاه بين مكارمٍ ومعالِ تاجانِ تاجُ سكينةٍ وجمالِ نسبًا يكونُ كصالح الأعمالِ** |

**معاشر المؤمنين، يقول الملك : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[التوبة:36].**

**ويقول رسول الهدى ﷺ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ، مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى، وَشَعْبَانَ»**([[1]](#footnote-1))**.**

**أيها المسلمون، وهذا هو شهر المحرم، الذي سمّاه النبيّ ﷺ: شهر الله، كما في الحديث: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ»**([[2]](#footnote-2))**؛ فإضافتُه إلى الله إضافة تشريف، وتدل على فضله ومكانته، فإنّه لا يضيف إليه إلا خواصّ مخلوقاته.**

**أيها المؤمنون، ولما كان هذا الشهر مختصّا بإضافته إلى الله، وكان الصّيام من بين الأعمال مضافًا إلى الله، كما في الصحيحين: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»**([[3]](#footnote-3))**؛ ناسَب أن يُختصَّ هذا الشّهرُ، المضافُ إلى الله، بالعمل المضاف إليه، المختصِّ به، وهو الصِّيام.**

**وقد قيل في معنى إضافة هذا الشهر إلى الله : إنه إشارة إلى أنّ تحريمه إلى الله -عز وجل-، ليس لأحدٍ تبديلُه، كما كانت الجاهلية يحلّونه، ويحرّمون مكانَه صفر، فأشار إلى أنه شهر الله الذي حرّمه، فليس لأحد من خلقه تبديلُ ذلك، ولا تغييره**([[4]](#footnote-4))**.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **شهرُ الحرامِ مباركٌ ميمونُ وثوابُ صائِمهِ لوجهِ إلههِ** |  | **والصّومُ فيه مُضاعَفٌ مَسنونُ في الخُلدِ عند مَليكِهِ مَخزونُ** |

**عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ»**([[5]](#footnote-5))**.**

**وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمٍ فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا هَذَا اليَوْمَ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَهَذَا الشَّهْرَ، يَعْنِي: شَهْرَ رَمَضَانَ»**([[6]](#footnote-6))**.**

**فيا عبد الله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **هل أرهقتْك ذنوبُ عامٍ غابرٍ أبشر فإن المصطفى قد دلّنا** |  | **وتريدُ عفواً من كريمٍ قادرِ؟! أن الخطا يُمحى بصومِ العاشرِ** |

**ففي حديث أبي قتادة : «ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»**([[7]](#footnote-7))**.**

**فيا من أقام على الذنوبِ دهورا، ويرجو ربّاً غفورا -وكلنا ذاك-!**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا من أقام على الذنوبِ دهورا هــا قد أظلَّك مـا يُكفِّر ما مضى فاشكر إلــهَـك أَنْ بَلغـتَ صيامَه بادر بصدقٍ فـي المتاب ولا تكن فالله يفــرحُ بالمـتــاب وإنه واسـأل إلـهـك نصـرَ كلِّ موحِّدٍ** |  | **ومضى الزّمانُ ولم يزل مستورا أعـنـــي بــه: التاسوعَ والعاشورا وَدَعِ الـخطيئةَ وافـعـل المأمورا ممـن غـدا بذنوبه مأسورا لِلخـلق كـان ولا يـــزال غفورا فعسى الدعــاء يُيَسِّرُ المعسورا** |

**عن الحكم بن الأعرج قال: انتهيت إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- وهو مُتوسِّدٌ رداءه في زمزمَ، فقلت له: أخبرني عن صوم عاشوراء؟ فقال: «إِذَا رَأَيْتَ هِلَالَ الْمُحَرَّمِ فَاعْدُدْ، وَأَصْبِحْ يَوْمَ التَّاسِعِ صَائِمًا»، قلتُ: هكذا كان رسول الله ﷺ يصومُه؟ قال: نعم»**([[8]](#footnote-8))**.**

**وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَخَالِفُوا فِيهِ الْيَهُودَ، صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا، أَوْ بَعْدَهُ يَوْمًا»**([[9]](#footnote-9))**.**

**وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: حِين صَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى! فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ». قال: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّى تُوُفِّيَ ﷺ**([[10]](#footnote-10))**.**

**وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قدم النبي ﷺ المَدِينَةَ فَرَأَى اليَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فقال: «مَا هَذَا؟» قالوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى، قال ﷺ: «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ»، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ**([[11]](#footnote-11))**.**

**وفي رواية: فقالوا: «هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَظْفَرَ اللهُ فِيهِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ، وَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ»، فقال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ، ثُمَّ أَمَرَ بِصَوْمِهِ»**([[12]](#footnote-12))**.**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا صباحًا ليس يُنسى يومَ عاشوراءَ ربي أهلك الباغي وأعطى أنّ للظالم يوماً** |  | **فيه نجّى الله موسى عدْلَه في الأرض أرسى فيه للباقين درساً: أنّ للمظلوم شمسا** |

**أيها المسلمون، إن يوم عاشوراء يوم صالح مبارك، حيث نجّى الله فيه موسى ﷺ، وبني إسرائيل من كيد فرعون ومكره، وبطشه وقهره، ونصرهم عليه، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[إبراهيم:6]، ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ \* مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[الدخان: 30-31].**

**وهي سنة من سنن الله الماضية في هذا الكون -يا أيها الموحدون- لا تتخلف، ووعد رباني جازم لا يخلف؛ أن يحق الحق، ويبطل الباطل، ويمحو الظلم، ويزيل الطغيان، ويدمغ الشر، ويذل المستكبرين، ويُزهق الباغين، وينتقم من المجرمين، وينجي المستضعفين، ويُظهر المؤمنين، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ \* يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ﴾[غافر:51]، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[المجادلة:21].**

**فالغلبة له -جل جلاله-، والنصر لأوليائه، والهلاك لأعدائه، والخلود لدينه، والبقاء للحق، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الأعراف:128]، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[طه:132]، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[الأنبياء:105].**

**أيها الموحدون، لقد صام موسى ﷺ هذا اليوم شكراً لله ، وتعظيماً له، وامتناناً على نعمته وتفضلّه، ومنّه ونصره، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم:7].**

**فمضى محمد ﷺ على هدي موسى -عليه السلام- في سنة صيام عاشوراء؛ تذكّراً للنعمة، وشكراً للنصر، وحمداً للظفر، فقال ﷺ: «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ»، «نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ»، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[الأنعام:90].**

**أيها الناس، لقد هلك في هذا اليوم، رأس الظلم والطغيان، وإمام البغي والعدوان، ورائد مدرسة الديكتاتورية والاستبداد، وأعظم المستبدين في الكون، وأكثر المستعبِدِينَ للناس من دون الله، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى \* إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى \* اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى \* وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى \* فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى \* فَكَذَّبَ وَعَصَى \* ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى \* فَحَشَرَ فَنَادَى \* فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى \* فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾[المدثر:15-26].**

**أيها المسلمون، نتأمل في هذه المناسبة المتكررة سنن الله في الحياة، ونتذكر أيامه -جل جلاله- في الكون، ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[إبراهيم:5].**

**نتذكر في مناسبة عاشوراء هلاك ذاك الطاغية، ذي الأوتاد، الذي طغى في البلاد، فأكثر فيها الفساد، وأذل رقاب العباد، وأسرف في الفجور، وتمادى في الغرور، حتى قال بتبجُّحٍ فاضح، وتغطرس واضح: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الزخرف:51]، وصدق الله: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنْ الْمُسْرِفِينَ﴾[يونس:83].**

**نتذكر هلاك فرعون، فنتذكر هلاك البطش، والتنكيل، والعلو والجبروت، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[القصص:4]، ﴿فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ﴾[غافر:** **٢٥].**

**معاشر الإخوة، ونحن نطالع قصة موسى ﷺ، في كتاب الله ، تتجلى لنا ملامح ذاك الطاغية المستبد، وشخصيته المغرورة، ونبرته الاستعلائية، وتركيبته العدوانية، وثقافته الإجرامية، وعقليته الديكتاتورية.**

**لقد كان شعارُه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[غافر:29].**

**ودستورُه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[القصص:** **٣٨].**

**وبرنامجه: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِـي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[الأعراف:127].**

**ومنهجه: ﴿فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طه:71].**

**ورؤيته: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾[طه:71].**

**إنه سيل من العلو، والبغي، والغرور، والبطش، والإجرام، الذي لا يثبت أمامه إلا أولو العزم من المؤمنين، وأصحاب الرسوخ في اليقين، والتوكل على رب العالمين..**

**لا يثبت ويتماسك أمام تلك الرياحِ العاتيةِ من الغرور، والأمواجِ الهادرةِ من البطش، إلا الإيمانُ العميق، واليقينُ العتيق، والتوحيد الكامل، والتوكل الصادق، والثقةُ التامة، والقلوب الحيّة، والنفوس المطمئنة، والهمم العالية، والإرادات الفولاذية، والأرواح المفعمة بالأمل، والعزائم المرتبطة بالسماء، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[الأعراف:126].**

**لقد كان سلاحُ موسى -عليه السلام- ومن معه في مواجهة ذاك الظلم والطغيان: الالتجاءَ إلى الله -عز وجل-: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[غافر:27]، ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾[الدخان:20]، وهذا السلاح هو سلاح كل مؤمن بربه، موقنٍ بقربه، فنعم السلاح والزاد، والعدة والعتاد.**

**أما الدروس التي كان يلقنها موسى أتباعَه، ويدرسها أصحابه، فهي الانطراح على عتبة عبوديته ، والتسليم له، والتوكل عليه -سبحانه وبحمده-: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ \* فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[يونس:84-86].**

**أما برنامجُ الثبات، وزادُ الطريق، ومدد الروح، ومفتاح الخلاص، ووسيلة النجاة، فهو الرباط في محراب عبوديته : ﴿وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾[يونس:87].**

**إن الاستعانة بالله، مع الصبر على أقداره، واليقين بموعوده -تعالى وتعاظم- هو ما كان يحث موسى ﷺ قومه عليه، ويدعوهم إليه: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الأعراف:128]؛ لأن النصر مع الصبر، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[القصص:5].**

**أيها الإخوة الموحدون، إنَّ الدعاء الصادق، والتفجع الوالِه، والمناجاة الحارَّة، والتضرّع الدائم، هو سلاح المستضعفين، وعدة المضطهدين، وعتاد المظلومين، وسلوان المحزونين، وأداة المؤمنين أجمعين، وهذا ما نتعلمه من قصة موسى ﷺ، فها هو يتوجه إلى الملك الجليل، ملتجئاً مبتهلاً: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[يونس:88].**

**والدعوات الصادقة -يا أيها الأحبة- خصوصاً من المظلومين، والمقهورين، والضعفاء، والمضطهدين، تُفتح لها -بإذن رب العالمين- أبواب السماء، وتسابق البرق في العروج بها إلى منتهاها، وتتلقفها الملائكةُ لترفعها لمولاها، ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[يونس:89].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **علىٰ ثِقةٍ بِوَعدِ الله عِشنا تَجيشُ قلوبُنا حُزناً ولـٰكنْ وما غير الدُعاء إذا عجَزْنا** |  | **بلا يأسٍ… وما زلنا نَعيشُ! بِذكرِ الله يَهدأُ ما يَجيشُ! فإنَ سهامَه ليست تَطيشُ!‎** |

**﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ \* وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ \* وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ \* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[الشعراء:63-68].**

**﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ \* وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ \* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[القصص:40-43].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا أُمتى ما خاب من ما كان ربك غافـلاً لو شاء أهلك من طغى فرعون أغرقه ولــم** |  | **بذمام خالقه اعتصــــمْ وهو الحكيم المنتقـمْ لوشاء دمّر مَن ظلمْ تعجزه عاد أو إرمْ** |

**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ \* وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾[هود:102-104].**

**أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.**

**الخطبة الثانية**

**الحمد لله عالم الغيب والشهادة، القادر على تنفيذ ما قدره وأراده، الحكيم في كل شيء قضاه من الشقاوة والسعادة، أحمده سبحانه حمد عبدٍ عظُم رجاؤه للمغفرة والزيادة.**

**وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أَعْظِم بها من شهادة.**

**وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمام المتقين السادة، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه نجوم الهداية والإفادة، وسلم تسليماً كثيراً.**

**وبعد، أيها الموحدون:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إن الـذي نصـر الكلـيمَ بضربة عما قريـبٍ سوف ينصر جندَه** |  | **شقَّتْ عصاه لـدى البُكورِ بُحُورا وكفــى بـربــك هاديًا ونصيرًا** |

**﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[فاطر:44].**

**أيها الناس، لقد جعل الله من فرعون وملئه درساً للطغاة، وعبرة للبغاة، وعظة للمتعظين، وآية للمستبصرين، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[الحشر:2].**

**لقد اطمأن فرعون وجنوده وقومه، في سِنة من الدهر، وأمن من الحدثان، وغفلة من الأيام، ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[يونس:90]، وتلك التوبة الكاذبة، بعد فوات الأوان، يُضربُ بها وجهُ صاحبها: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[يونس:91]، وجعله الله عبرة لمن يعتبر، وآية لمن يدّكر: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[يونس:92].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فجائعُ الدَّهرِ ألوانٌ مُنوَّعةٌ وهذه الدارُ لا تبقي على أحدٍ** |  | **وللزَّمانِ مَسَرَّاتٌ وأحزانُ ولا يدومُ على حالٍ لها شأنُ** |

**كم خفقتْ على رؤوسهم البنود، واصطفّت على جوانبهم الجنود، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ الله﴾[الحشر:2].**

**رتعُوا في لذّة العيش لاهين، وتمتَّعوا في صفو الزمان آمنين، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[الأعراف:102].**

**ظنُّوا السراب ماءً، والورم شحْماً، والدنيا خُلُوداً، والفناء بقاءً، وحسبوا الوديعة لا تُستردُّ، والعارية لا تُضمنُ، والأمانة لا تُؤدَّى، ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾[القصص:39].**

**أصبحوا في سرور، وأمسوا في القبورِ، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾[الدخان:29].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فأدبروا ووجوه الأرض تلعنُهم** |  | **كباطلٍ مِن جلال الحقِّ منهزمِ** |
| **فأدبرَ الظّلمُ يَلقى هاهُنا أجلاً** |  | **وهاهنا يتلقَّى كفَّ حفَّارِ** |

**﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾[الكهف:59].**

**﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ \* وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[القصص:58-59].**

**أيها المسلمون، إنّ علينا أن نثق بنصر الله، وغوثه، وعونه، وفرجه، وأن عاقبةَ الطغيان إلى زوال، وسعيه في ضلال، وكيده في وبال، وأمره في سفال، فهذا فرعون رائد مدرسة الظلم والطغيان، ذهبت مآثرُه، وبقيت اللعنات تسامره، ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾[هود: 99]، وأما الآخرة فبئس المصير: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾[هود: 99]، ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾[القصص:42]، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر: 46].**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ومن خاصم الرّحمن خابتْ جهودهُ** |  | **وضاعتْ مساعيه وأتعابُه سدى** |

**﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾[الأعراف: ١٣٧].**

**وبعد:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **نجَّيتَ يا ربّ موسى حينما انطلقا ونحن يا رب هلكى فاجْلُ كربَتَنا لنا مِن الهمِّ ما نرجو إزالتَه وأنت يا رب ذو عفو ومغفرةٍ وهبْ لنا رحمة؛ هيئ لنا رَشَدا ومَن أراد بنا سوءا فمُدَّ له ومَن أراد بنا خيراً فكن سنداً** |  | **من بطش فرعون لما بحرُك انفلقا إنا نخاف إذا لم تُنْجنا الغرقا ومَن سواك يزيل الهمَّ والقلقا فجُدْ علينا بفتح يسبق الفلقا مِن أمرنا واكفنا مِن شر ما خلقا كَفَّاً مِن البطش لا تُبقي له رَمَقا له ويسِّرْ له يا ربَّنا الطُّرُقا** |

1. () رواه البخاري (٤٦٦٢)، ومسلم (١٦٧٩). [↑](#footnote-ref-1)
2. () رواه مسلم (١١٦٣)، وأحمد (٨٥١٥)، والترمذي (٤٣٨)، والنسائي (١٦١٣). [↑](#footnote-ref-2)
3. () رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١). [↑](#footnote-ref-3)
4. () ينظر: لطائف المعارف (70). [↑](#footnote-ref-4)
5. () رواه مسلم (١١٦٣)، وأحمد (٨٥١٥)، والترمذي (٤٣٨)، والنسائي (١٦١٣). [↑](#footnote-ref-5)
6. () رواه البخاري (٢٠٠٦)، ومسلم (١١٣٢). [↑](#footnote-ref-6)
7. () رواه مسلم (١١٦٢)، وأحمد (22537)، وأبو داود (٢٤٢٥). [↑](#footnote-ref-7)
8. () رواه مسلم (١١٣٣)، وأحمد (٣٢١٢)، أبو داود (٢٤٤٦)، وابن أبي شيبة (٩٣٨٠). [↑](#footnote-ref-8)
9. () رواه أحمد (٢١٥٤)، وحسّنه أحمد شاكر، وابن خزيمة (٢٠٩٥)، والبيهقي في الكبرى (٨٤٠٦)، وقال الألباني -كما في صحيح ابن خزيمة (3/290)-: إسناده ضعيف؛ لسوء حفظ ابن أبي ليلى، وخالفه عطاء وغيره، فرواه عن ابن عباس موقوفاً، وسنده صحيح عند الطحاوي والبيهقي. [↑](#footnote-ref-9)
10. () رواه مسلم (١١٣٤)، وأبو داود (٢٤٤٥)، والبيهقي في الكبرى (٨٤٠١). [↑](#footnote-ref-10)
11. () رواه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠). [↑](#footnote-ref-11)
12. () رواه البخاري (٣٩٤٣)، ومسلم (١١٣٠). [↑](#footnote-ref-12)